إنجيل متى ١٥: ١-٢٠

مخاطر الديانة

تأليف: تومي ساوث

« حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم، قائلين: لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟ فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟ فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك. ومن يشتم أباً أو أماً، فليمت موتاً. وأما أنتم فتقولون من: قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني. فلا يكرم أباه أو أمه. فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ... » (متى ١٥:١-٢٠).

كان الخبر عن يسوع ينتشر حقاً، بحيث جاء بعض الفريسيين والكتبة من أرشليم إلى الجليل ليروا ما كان يجري. كان الفريسيون هم الأكثر تشدداً من بين فئات اليهود بما يختص بالناموس، وكان الكتبة خبراء في الناموس بما فيه شرائع اليهود الشفهية. جاء رجال الدين المتحمسين هؤلاء كشكل من « لجنة للتحقق عن الخطية »، ربما كان ذلك طلباً من مجلس السنهدريم الحاكم في أورشليم. وسريعاً ما وجدوا شيئاً لينتقدوه: « لماذ يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم عندما يأكلون خبزاً؟ » (١٥: ٢). كانت للكتبة والفريسيين قوانين صارمة عن تطهير شعائري قبل الأكل، وكان تلاميذ يسوع يجهلون تلك القوانين.

كانت هناك مسألتين في الخطورة. الأولى هي القداسة. كان الفريسيون يريدون لإسرائيل برمتها أن تتبع قوانين الطهارة نفسها كما يتبعها كهنة الهيكل. وكانوا يؤمنون بان ذلك يجعل الأمة كلها « مقدسة ». عندما تجاهل تلاميذ يسوع هذه الشعائر، لم يتعاملوا مع خطة الفريسيين لقداسة إسرائيل. كانت المسألة الثانية هي التقاليد. تبين الآية ٢ بان القوانين التي كان يتم انتهاكها أتت من « تقليد الشيوخ »، أي القوانين التي اخترعها أجداد الفريسيين الموقرين. هذه القوانين لم تأتي من ناموس موسى ولا من أسفار العهد القديم أياً كان، بل كانت تقليد شفهي اخترعها قادة دينين سابقين. كان هدفهم من خلق هذه القوانين هو « لبناء سور » حول ناموس موسى، ولكي يكون أكثر صرامة مما يطالب به الناموس، وللتقليل من احتمال التعدي بإهمال أية من الوصايا. ما نجحوا في انجازه هو بالحقيقة خلق « ناموس جديد »، وكان يُضع التشديد على هذا الناموس الجديد أكثر من ناموس موسى! كانوا يعتبرونه ملزم كناموس موسى ويؤمنون بانه توسيع منطقي للناموس. رفض يسوع تقليدهم، كما يبين ذلك في إجابته على تهمتهم: « وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ...؟ » (٥: ٣). بالنسبة ليسوع يوجد فرقاً كبيراً بين « وصية الله » و« تقليدهم ». وضع التشيد على هذا في الآية ٦: « وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس »(الآية٩).

ينبثق درساً مهماً من هذه المناظرة، وهو: خطر الديانة. انه من السخرية ان تكون الديانة أحياناً كثيرة عثرة لإنجيل المسيح. كما قال وارن ويرسبي: « يستخدم الشيطان عادة الديانة لكي يعمي عقول الخطاة عن الحقائق البسيطة لكلمة الله ». يتكرر هذا المبدأ في العهد الجديد. كان يسوع يحارب تقاليد الكتبة والفريسيين دائماً، محاولاً ان يعطي فرصة

للناس كي يفهموا الرسالة البسيطة لملكوت الله. كان بولس في نزاع دائم مع اليهود المتمسكين باليهودية الذين كانوا يريدون ان يلزموا الناموس (وخاصة الختان) على الأمم. كانوا يؤمنون بانه لا يمكن للأمم ان يخلصوا من غير ذلك. في ما كان يقترب من نهاية القرن الأول الميلادي، وجد يوحنا الرسول نفسه يحارب نزعة تسمى بالغنوسطية، التي كانت تعلم بان الخلاص لا يأتي بدم المسيح المطهر، بل بالمعرفة الروحية، ومعطى فقط لمختارين قليلين.

لسوء الحظ، يرفض الناس الإنجيل اليوم بصورة متكررة بسبب ادعاءات كاذبة بالمسيحية، وبسبب الذين يسمحون بصنف «ديانتهم» ان يتعارض برسالة الإنجيل. لا ندري كم عدد الناس الذين رفضوا المسيح بسبب السلوك المثير للسخرية وقلة الاخلاق الذي يظهره كثير من الذين يكرزون على التلفاز. كم عدد الباحثين الحقيقين اردتوا باشمئزاز لأن شخصاً ما قد قدم الإنجيل كما لو انه يكسر كتلات غليظة من الخرسانة برأسه بينما يصيح بآيات من الكتاب المقدس؟ هذا سيء أيضاً إذ قبل آخرون هذه الصور المزيفة من الإنجيل كما لو كانت حقيقة، وربما سوف لا يعرفون ما هو الإنجيل حقاً. حتى في الكنائس الأكثر تقليدية، قد اختلط كثير من تعليم التقليد البشري برسالة المسيح بحيث يستحيل تقريباً للموالين لتلك الأديان ان يميزوا ما هو «الإنجيل» عما هو مجرد «تقليد».

النوع الصحيح من الديانة (المرتكزة على المسيح وتعلم المسيح) هو بركة عظيمة. ولكن المشهد الديني محفوف بالمخاطر. يجب ان نحترس على الدوام لئلا نرتكب الأخطاء نفسها كالكتبة والفريسيون.

أحياناً تخلط «الديانة» بين التقليد البشري وكلمة الله

كان الفريسيون والكتبة قلقين لان تلاميذ يسوع كانوا يتجاهلون تقليد الشيوخ. وكان يسوع قلقاً أكثر لأن تقليدهم يقودهم إلى مخالفة وصايا الله (متى ١٤: ٢ و٣). يميل الكثيرون إلى الظن بان كل شيء يؤمنون به دينياً هو من الله. انه شيء غير عادي كيف لا يمكن لكثيرين ان يميزوا بين ما تعلمه مجموعات دينية معينة وما يعلمه الكتاب المقدس حقاً.

ولكن الأسفار المقدسة تعلم بان تقليد الناس ليس بديلاً مقبولاً لكلمة الله:

> «النبي الذي معه حلم فليقص حلماً، والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق، ما للتبن مع الحنطة؟ يقول الرب. أليست هكذا كلمتي كنار؟ يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر؟ لذلك هأنذا على الأنبياء، يقول الرب، الذين يسرقون كلمتي بعضهم من بعض. هأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة، يقول الرب، الذين يقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم، وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم. فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب» (إرمياء ٢٣: ٢٨-٣٢).

حذر بولس من الوقوع فريسة للذين يعلمون تقاليد الناس عوضاً عن الكلمة:

> انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح ...
> إذاً إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض: لا تمس ولا تذوق ولا تجس، التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس (كولوسي ٢: ٨، ٢٠-٢٢).

الميول إلى الخضوع لتعاليم الناس وقوانينهم قد قاد إلى إنقسامات دينية كثيرة وإلى اعطاء رسالة مجزأة ومتضاربة إلى العالم الضال الذي يحتاج إلى المسيح. معظم الإنقسامات الدينية لم تأتي نتيجة اختلافات على نصوص الكتاب المقدس مثلما هي على اتباع تقاليد مختلفة. سألت ذات مرة أستاذ بمعهد لاهوتي لماذا يؤمن بما فعله عن المعمودية. إجابته لي تركتني متحيراً، لقد قال: «القانون الرابع». وعندما قلت له انني

لم أفهم إجابته، قال بانه يشير إلى «قوانين الاعتراف» لطائفته. وقد اعترف بان هذه «القوانين» تفي بالغرض في مكان أي من نصوص الكتاب المقدس التي علمته. ان الميول إلى تفضيل التقليد على كلمة الله لا يعبر عن إخلاص الذين يتبعون أي تقليد معين. ولكن إخلاصهم يسلط الضوء على الخطر: قد يكون الشخص مخلصاً ومع ذلك يؤمن أو يعلم تعاليم تتعارض مباشرة مع الكلمة.

أحياناً يعطي التقليد اعذاراً بعدم طاع لله

وبخ يسوع الكتبة بشدة بسبب ممارسة «قربان» (متى ١٥: ٤-٦). هذا يعني بان كل ما يسمونه «قربان» يكون مكرس لله ولا يمكن استخدامه لغرض آخر. اعتاد اليهود ان يعلنوا بان ثرواتهم هي «قربان» وبهذا يجدون علة لئلا يدعموا والديهم مادياً. وبهذا كانوا ينتهكون الوصية الخامسة من وصايا الله العشر: «أكرم أباك وأمك» (خروج ٢٠: ١٢). صرح يسوع بتعليق مذهل حيث قال: «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم» (متى ١٥: ٦).

لا يمكن ان يوجد عذراً لمثل عدم الطاعة هذا. قال يسوع: «إن كنتم تحبونني فأحفظوا وصاياي» (يوحنا ١٤: ١٥). لا يمكن ان نحب الله أكثر جداً بحيث لا تكون للطاعة أهمية كما يظن البعض. يوجد إثبات لهذا في عبرانيين ٥: ٨ و٩ : «مع كونه ابناً، تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل، صار لجميع الذين يطيعون سبب خلاص أبدي». ليس لك عذر لعدم الطاعة إلا إذا كنت تؤمن بانك تحب الله أكثر مما أحبه يسوع! ليس لك عزر. لا يسمح يسوع لشيء ان يمنعه من ان يطيع أباه؛ ولا يجب لنا نحن ان نسمح لشيء أن يمنعنا. ومع ذلك، فإن كلمة «طاعة» تكاد ان تختفي من مفرداتنا الدينية، وهي موضوع غير شائع في الدوائر الدينية. نحن في حاجة ملحة لأن نصحح هذه النزعة!

كان وليم تمبل على صواب عندما قال: «يوجد لكل علاقة مع الله مطلب، والسبيل إلى معرفة الله هو بالطاعة». في أواخر القرن الأول، كان هناك مجموعة من الناس يؤمنون بان الشخص «الروحي» لا حاجة له ان يطيع إرادة الله. وفي زماننا هذا، يؤمن البعض بان ما يفسرونه كوحي من الله أو الروح القدس يحل الأشياء الحقيقية في الكتاب المقدس. من المستحيل ان تكون هذه الفكرة صحيحة! لا يمكن لله أن ينتقض نفسه بمثل هذه الطريقة. الديانة الحقة تشير دائماً إلى الطاعة – وليس إلى عكسها.

قد تؤدي «الديانة» أحياناً إلى «عبادة باطلة»

وبخ يسوع الكتبة والفريسيين بشدة في متى ١٢: ٧-٩ إذ اسماهم مراؤون[1] من توبيخ إشعياء القاسي لإسرائيل: «يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً! وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس». الكلمة «باطلاً» تعني «عبثاً» أو «عديم الجدوى». تكون العبادة عبثاً أو عديمة الجدوى عندما تُبدل «وصايا الناس» بكلمة الله. لا يمكن ان نكرم الله إذا كانت تقاليد الناس هي الأكثر أهمية بالنسبة لنا مما قاله الله في كلمته. تذكرنا هذه الآيات بكلام يسوع القريب من نهاية الموعظة على الجبل: «ليس كل من يقول لي: يا رب ، يا رب! يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٧: ٢١). من كل العبادات التي تصعد «باسم يسوع»، قد يتساءل الشخص كم منها هي عبادات باطلة.

قد تتركز الديانة أحياناً على المظاهر التي تجهل القلب

فسر يسوع للكتبة والفريسيين بان اهتمامهم بالقداسة هو في غير محله (متى ١٥: ١٠-٢٠). يهتم الله أيضاً بقداسة شعبه، ولكن هذه القداسة غير مقيدة بشعائر

[1] ترجمت الكلمة مراؤون من كلمة يونانية تعني حرفياً «ممثل» – أي الذين يتمثلون أو يتظاهرون بشيء آخر.

خارجية، بل يهتم الله أكثر بقداسة قلوبنا. الأكل، والشرب، إلخ.، ليست مصادر حقيقية للـ «نجاسة». قلوبنا الفاسدة هي المكان الذي تبدأ منه النجاسة الروحية. هنا يمكن للـ «ديانة» ان تكون مضللة – يمكن أن نعبد ظاهرياً بطريقة صحيحة، نحمل اسم المسيح، ونؤمن بالتعاليم الصحيحة، ومع ذلك نظل مرضى روحياً في القلب، قال وليم لاو:

> كما ان الكبرياء، أو الغرور، أو الحسد، أو الحقد لا يقلل من العقل مهارته الهندسية، هكذا أيضاً قد يكون الإنسان دقيق في اظهاره لديانة منطقية بينما يخمد كل عواطف قلبه، ويكون هو الأكثر غيرة لجودتها وكفاءتها بينما تكون أهواه في حالة أكثر اضطراباً.

لا توجد كمية كافية من البر أو القداسة الظاهرية يمكن ان تكون بديل للقلب النقي.

> «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة! هكذا أنتم أيضاً، من خارج تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحنون رياء وإثماً» (متى ٢٣: ٢٧ و٢٨).

إذا كان القلب مستقيماً، فسيتبع ذلك المظاهر الصحيحة.

الخلاصة

كيف يمكن لنا نحن المتدينين ان نتجنب هذه المخاطر المذكورة في هذا النص؟ توجد طريقتين واضحتين، أولاً: يمكننا ان نعظم الله وكلمته فوق كل شيء آخر. لا يجب أن يعترض أي شيء طاعة إرادته. يجب ان نستعد لإختبار كل إيمان وتقليد بالأسفار المقدسة. ثانياً: يمكننا ان نهتم بالقلب في المقام الأول وما تبقى ستتبع.

تطبيق الكتاب المقدس في الحياة

قليل من الذات

كان اثنين من المسيحيين في الجامعة يتحدثان ذات مرة، قال أحدهما للآخر: «ليتني عرفت ما يريد مني الله ان أعمل في الحياة!» فقال له صديقه: «هل صليت من أجل ذلك؟» فرد قائلاً: «نعم». قال له: «هل وجدت إجابة؟» رد قائلاً: «كلا». قال صديقه: «هل كنت صادقاً في صلواتك؟» «على ما اعتقد. طبعاً يوجد شيء واحد أو اثنين لا أريد أن يطلب مني ان اعمل، لأنني لا اعملهما».

دفع الثمن

في مؤتمر رؤساء البلديات، الذي عقد بساحل ميامي، اختاروا فيه رئيساً لكل المدن في الولايات المتحدة. طبعاً كان ذلك سمعة حسنة، وفي الخطاب المتلفز عبر البلاد الذي ألقاه بمناسبة توليه هذا المنصب، حكى عن قصة قصد منها ان تكون مضحكة، فكانت هناك بعض الضحكات. ولكنها كانت تحمل حقيقة عظيمة عن الآلم الذي يمكن ان يصيب الإنسان عن طريق ضميره. قال بما في مضمونه: «استلم موظف ضريبة الدخل الإجمالي شيك بقيمة ٥، ... دولاراً مرفق بمذكرة صغيرة من رجل أعمال؛ تقول المذكرة: أرفق بهذه المذكرة شيكاً بمبلغ ٥، ... دولاراً كان عليّ ان ادفعه كضريبة الدخل في وقت سابق. أرسله إليك لأنني لا استطيع النوم. إذا لم استطيع النوم الآن، فسأرسل إليكم المبلغ المتبقى».

أكبر المعارك

هل تعلم أين ومتى دارت أكبر المعارك؟ لم تكن في ميادين القتال، بل كانت في داخل الناس.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧